الإستعارة بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات المعرفيّة

Metaphor in Arabic rethoric and congnitive liguistics

راضية عزيزي *

د.كمال بخوش ♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/24	تاريخ القبول: 17 / 04 / 2021	تاريخ النشر: 30 / 06 / 2021

الملخص:

تعدّ الاستعارة من أكثر الأساليب البلاغيّة إستعمالا سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أو الشّعر العربي، وهو ما جعل البلاغيين القدامى يهتمّون بدراستها وتبيان أهميّتها،وقد إجتمعت كلّ تعاريفهم على أنّها نقل لفظ وضع لمعنى في أصل اللّغة لمعنى آخر لوجود علاقة مشابهة بينهما. إلى أن جاء اللّسانيَّان الغربيَّان"لايكوف" Laykoff و"جونسون" Johnson وقدّما نظريّة جديدة مفادها أنّ وظيفة الإستعارة ليست لغويّة جمالية فقط وإنّما تتجاوز الوظيفة الجمالية إلى وظيفة التّفكير والإدراك العقلي. وتروم هذه الدّراسة إلى توضيح الفرق بين المقاربة البلاغيّة والمقاربة المعرفيّة للإستعارة.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الاستعارة، اللسانيات المعرفية، الاستعارة المفهومية.

Abstract:

The metaphor was employed in different positions in the Noble Quran and Arabic Poetry. This empoymentattracted the scholars of that time to studyit in terms of definitionand functions.

المؤلف المرسل: راضية عزيزي radhou.az22@gmail.com

* جامعة يحي فارس المدية: radhou.az22@gmail.com

♣ جامعة يحي فارس المدية:kamel.bekhouche@yahoo.fr

المنارة للاستشارات

However, most of their studies were basedon the linguisticside of its function which seeks to conveya specific meaninguntil Likove and Johnson came to present a new theory .According to them, the function of the metaphoris not only linguistic, but it is rathera means of thinking and mental perception thatal l people possess ,eloquent are or general.

There fore ,this research came to highlight the difference which occurred in the nature of the metaphor by talking about it in Rhetoric and Epistemological Linguistics and displayingthe most important of what the later brought.

The key words : *Rhetoric, Cognitive Linguistics, Conceptual Metaphor ,Metaphor.*

*** *** ***

مقدمة:

للإستعارة أهميّة كبيرة وهو ما جعل البلاغيين يدرسونها ويعتنون بها، وإستمرّ هذا الإهتمام إلى العصر الحديث، وقد إهتمّ بها اللّسانيّان الغربيّان "جورج لايكوف" " George Lakoffو"مارك جونسون"Mark Johnson إلّا أنّهما إستحدثا مقاربة جديدة في ظلّ اللّسانيّات المعرفيّة (Congnitive linguistics) مخالفة للمقاربة البلاغيّة العربيّة، فما هي الرّؤية الإستعاريّة الجديدة الّتي قدّمها هذان اللّسانيّان ؟ وهل كان للعرب نظرة معرفيّة سابقة خاصّة فيما يتعلّق بالإستعارة المفهوميّة؟ هذا ما نحاول التّطرّق إليه في هذا البحث بإعتماد التّعريفات البلاغيّة القديمة والمعرفيّة مع المقارنة بين المقاربتين.

1-الإستعارة من منظور البلاغة العربيّة.

1-1 الإستعارة لغة: جاء في لسان العرب:«...والعاريّة والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشّيء وأعاره من عاوَرَه إيّاه، والمعاورة والتّعاور : شبه المداولة والتّداول في الشّيء يكون بين إثنين...وإستعاره الشّيء وإستعاره منه...والعارية منسوبة إلى العارة وهي إسم من الإعارة: تقول أعرته الشّيء أعيره إعارة وعارة... وإستعاره ثوبا فأعاره إيّاه، ومنه قولهم: كير مستعار[1].»

ويقول ابن فارس في مقاييسه: «العين والواو والرّاء أصلان، أحدهما يدلّ على تداول الشّيء...فالأوّل قولهم: تعاور القوم فلانا واعتوروه ضربا، إذا تعاونوا، فكلّما كفّ واحد ضرب آخر.»[2]

إذن فالإستعارة أخذ وعطاء وطلب فالمستعير يأخذ الشّيء بعد طلبه وهي المداولة؛ أي تناوب الأشخاص على شيء معيّن أو إعارته، فلكي تتحقق الاستعارة يتطلّب وجود طرفين مع تواجد علاقة بينهما فيصبح الشّيء الّذي أعير من خصائص المعار إليه ملتصقا به.

2-1**الاستعارة اِصطلاحا**: قُسّمت البلاغة إلى ثلاثة علوم (علم البيان، علم البديع وعلم المعاني). وتعدّ الإستعارة مبحثا من بحوث علم البيان الّذي عرّفه "السّكاكي" بأنّه (معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزّيادة في وضوح الدلالة عليه،)[3]. ويقصد بالطرق المختلفة المجاز والتشبيه والاستعارة. وكان لهذه الأخيرة حصّة الأسد من الدّراسة والبحث والاهتمام. ما جعل لها الكثير من التّعريفات والمفاهيم عند كبار علماء البلاغة منهم الجاحظ (159هـ-255هـ) الّذي يعرّف الإستعارة في كتابه (**البيان والتّبيين**) بأنّها « تسمية الشّيء بِاسم غيره إذا قام مقامه»[4]. فللمعاني ألفاظ تدلّ عليها في اللّغة، إلّا أن البعض منها لم توجد له ألفاظ مرتبطة بها، ذلك ما يجبر المتكلّم على أخذ لفظ لمعنى آخر للدّلالة على المعنى الّذي يودّ التّعبير عنه. مع ضرورة وجود علاقة بين المعنى المعار منه والمعنى المعار إليه. وللتّوضيح كان الجاحظ قد علّق على الأبيات الشّعريّة الآتية:

يَا دَارُ قَدْ غَيَّرَهَا بَلَاهَـــا ... كَأَنَّمَا بِقَلَمٍ مَحَاهَـــــا

أَخْرَبَهَا عُمْرَانُ مَنْ بَنَاهَـا ... وَكَرَّ مَمْسَاهَا عَلَى مَغْنَاهَا

وَطَفِقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا ... تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

فيقول:« ...وطفقت يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها، عيناها هنا السّحاب على طريق الإستعارة.»[5]. وكأنّ السّماء قد حزنت على ما حلّ بالدّار فبكت سحبها عليها كما تبكي عين المرء من الحزن. فالأصل العين هي التي تبكي، فاِسْتُعير بالسّحاب على شدّة البكاء.

أمّا "اِبن قتيبة" (213هـ-276هـ) فيتحدّث عن الإستعارة في القرآن الكريم في كتابه (**تأويل مشكل القرآن**) الّذي ألّفه بعدما أشكل على المفسّرين بعض ألفاظه ومن

المنارة للاستشارات

بينها إستعمال اللّفظ في غير موضعه الّذي عرف به في أصل اللّغة، فيقول:« فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو يجاور لها أو مُشَاكِل(مشابه) فيقولون للنّبات نوء لأنّه عند النّوء عندهم وجفّ أنواء الرّبيع المرتزق... أي جف البقل »[6].

فالإستعارة عند "إبن قتيبة" تكون لعلاقة بين المنقول منه والمنقول إليه. وهذه العلاقة تقوم على وجود سبب لإختيار هذا اللّفظ لذاك المعنى والمشابهة بينهما، وقد وضّح تعريفه بتقديم أمثلة من آيات قرآنية .قال تعالى﴿يوم يكشف عن ساق﴾ سورة القلم آية42. يقول "إبن قتيبة" :« وأصل هذا أنّ الرّجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه شمّر عن ساقه، فاستعيرت (السّاق) في الشّدّة[7].

ويقول "الشّريف الرّضي"(395هـ- 404هـ) عن الإستعارة في هذه الآية 33(أنّها استعارة أريد بها الكناية عن هول الأمر وشدّته وعظم الخطب وفظاعته لأنّ من عادة النّاس أن يشمّروا عن سوقهم عند الأمور الصّعبة الّتي يحتاجون فيها إلى المعاركة ويفزعون عندها إلى الدّفاع والممانعة ...)[8].

وأمّا "الجرجاني" فقد جعل الإستعارة تابعة لعلم البديع ، وقد عرّفها بقوله:«أمّا الإستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التّمثيل ، والتّشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول، وتستفتى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان»[9] ؛ فالإستعارة هي نوع من التّشبيه كونها تقوم بين متشابهين مثلما قال (إبن قتيبة) سابقا. ثمّ قوله بأنّ التّشبيه قياس، والقياس هو حمل فرع على أصل، فالتّشبيه هو حمل ثان على أوّل؛ والإستعارة هي أيضا حمل ثان على أوّل لوجود علاقة بينهما، مثال قوله تعالى ﴿واشتعل الرّأس شيبا﴾ سورة مريم، آية04. فالإستعارة هنا وظّفت لتبيان سرعة إنتشار الشّيب في رأس النّبي "زكريا" وتبيان مدى كبره وعجزه. وفي الأصل الإشتعال يكون للنّار الّتي تنتشر بسرعة في المكان الّذي إشتُعلت فيه، فوجه الشّبه بين الشّيب والنّار سرعة الإنتشار، وهذا ما يؤكّده "الشّريف الرّضي" بقوله «وهذه من الإستعارات العجيبة والمراد بذلك العبارة عن تكاثر الشّيب في الرّأس حتّى يقمر بياضه وينصل سواده وفي هذا الكلام دليل على سرعة انتشار الشّيب وتضاعفه...»[10] وأمّا قوله أنّها تدرك بالأفهام والأذهان وليس بالأسماع والآذان فإنّنا نجد في هذا السّياق ملمحا

لسانيا معرفيّا (اللّسانيّات المعرفيّة) يوضّح البعد المعرفي للإستعارة الّذي طرحه "لايكوف" و"جونسون". فقد تجاوز الوظيفة الجماليّة التّبليغيّة للإستعارة إلى الوظيفة العقليّة ودورها في التّفكير الإنساني، ثمّ يواصل "الجرجاني" تعريفه فيقول:« إعلم أنّ الإستعارة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغوي معروفا تدلّ الشّواهد على أنّه إختصّ به حين وُضِعَ ثمّ يستعمله الشّاعر في غير ذلك الأصل، وينقل إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية.» وهنا يعرّفها بأنّها نقل كلمة أو جملة من موضعها الأصلي المتعارف عليه عند المتكلّمين إلى معنى آخر بغية الإيضاح والتّبيان. وهي نفس الفكرة الّتي طرحها "الجاحظ" و"إبن قتيبة". وعند "الخطيب الرّازي" الّذي تأثر بـ"الجرجاني" ونحا نحوه قال في كتابه **(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)**: « الإستعارة ذكر الشّيء بإسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه»[11]. أي إعطاء لفظ لمعنى آخر لوجود سبب أو علّة دون توظيف أداة الشّبه، كقولنا « زيد أسد فإنّنا ما ذكرنا زيدا بإسم الأسد بل ذكرناه بإسمه الخاص»[12]؛ أي ذكرنا زيدا بإسمه وإستعمال لفظ الأسد كان كناية عن الشّجاعة الّتي يمتلكها زيد والّتي تشبه شجاعة الأسد، فالإستعارة كانت لإشتراكهما في الشّجاعة. والجدير بالذّكر أنّ "الرّازي" قد سار في دراسته على طريق أستاذه "عبد القاهر الجرجاني" جعلها تابعة لعلم البديع[13].

1-3أنواع الإستعارة:

يعرّف السّكاكي الإستعارة فيقول:« وهي أن تذكر أحد طرفي التّشبيه وتريد به الطّرف الآخر مدعيا دخول المشبّه في جنس المشبّه به كما تقول في الحمام أسد وأنت تريد به الرّجل الشّجاع مدعيا أنّه من جنس الأسود لتثبت للرّجل الشّجاع ما يخصّ المشبّه به وهو إسم جنسه مع سدّ طريق التّشبيه بإفراده بالذّكر أو كما تقول، إنّ المنيّة أنشبت أظفارها بفلان، وأنت تريد بالمنيّة السّبع بإدّعاء السّبعيّة وإنكار أن يكون شيئا غير السّبع فتثبت لها ما يخصّ المشبّه به وهو الأظفار»[14]. بالنّظر إلى هذا التّعريف نرى بأنّ :السّكاكي" قدّم أنواعا من الإستعارة المعروفة في البلاغة العربيّة وهي (التّصريحيّة) و(المكنيّة).

المنارة للاستشارات

التّصريحيّة المكنيّة

1-الاستعارة التّصريحيّة: هي الّتي يصرّح فيها بذات اللّفظ المستعار، الّذي هو في الأصل المشبّه به حين كان الكلام تشبيها، قبل أن تحذف أركانه أو بعض صفاته أو خصائصه أو بعض لوازمه الذّهنيّة القريبة أو البعيدة، نحو: وقف الغضنفر على المنبر، وارتجل خطبته العصماء، على عليّة القوم والدّهماء...[15]

فالإستعارة التّصريحيّة هي ما صرّح فيها بالمشبّه به وحذف المشبه؛ أي ذكر كما في المثال السّابق، ذكر المشبّه به وهو الغضنفر أي (الأسد) حيث شبّه به الإمام من حيث قوّته وشجاعته. كما هو الحال في المثال الّذي أورده "السّكاكي" (الحمام أسد). وكذلك نجد الإستعارة التّصريحيّة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم نحو قوله تعالى في سورة آل عمران﴿ **هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات**﴾ الآية 07، في هذه الآية إستعارة تصريحيّة حيث صرّح بالمشبّه به الأم وصرّح بالمشبّه آيات محكمات والّتي تعتبر كما قال "الشّريف الرّضي" في مجازاته بأنّها جماع الكتاب وأصله، وكأنّ سائر القرآن يتبعها ويتعلّق بها كما يتبع الولد آثار أمّه ويفزع إليها.

2-الإستعارة المكنيّة: وهي الّتي لم يصرّح فيها بالمشبّه به وإنّما ذكر بعض خصائصه وصفاته الدّالّة عليه. كأن يقال: وقف صاحب اللّبدة، أو وقف أبو الأشبال[16]، محلّ (الغضنفر) أو (الأسد) في المثال السّابق، وكانت استعارة مكنيّة لأنّها إستعملت بعض القرائن الدّالّة على المشبّه به ولم يكن مصرّحا به. ومثال الإستعارة المكنيّة في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿**والصّبح إذا تنفّس**﴾ سورة التّكوير الآية18 فذُكر المشبّه (الصّبح) وحذف المشبّه به (الإنسان) وبقيت إحدى خصائصه (النّفس).

إجتمعت التّعريفات السّابقة في نقطة مشتركة وهي أنّ الإستعارة نقل لفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لشبه بين المستعار منه والمستعار إليه؛ أي أنّها ذات خاصيّة لغويّة. لكنّ السّؤال المطروح، لماذا يلجأ المتكلّم للتّعبير الإستعاري؟

كما هو معلوم أنّ المتكلّم عندما ينشِئ خطابًا يهدف إلى تحقيق غاية معيّنة بإستعمال أساليب وحجج مختلفة تقوّي خطابه وتعضده، وكان التّعبير الإستعاري أحد هذه الأساليب المتداولة في الخطابات وذلك بغية تجسيد المعنوي في صورة المحسوس أوّلا لتوضيح الصّورة وإحداث الأثر في نفس المتلقي ثانيا وهذا هو الهدف الأساسي كون الخطاب لا يلقى من أجل الكلام فقط؛ وإنّما يلقى من أجل إقناع المتلقي والتّأثير فيه. فمثلا يقول "الشريف الرضي" في الوداع: «نسرق الدّمع في الجيوب حياء وبنا ما بنا من الأشواق» . وظّف لفظة (نسرق) بدلا عن (نخفي) كونها الأكثر تصويرا لحاله عند الوداع، حيث يكون في حالة من الخوف والفزع لعدم قدرته على تحمّل هذا الموقف فيسترق دمعه دون ملاحظة أحد لبكائه مثله مثل السّارق الّذي يسرق بسرعة وخفية خوفا من كشف أمره، فكانت لفظة(يسرق) أكثر تأثيرا في نفس المتلقي لأنّها تقرّب له المعنى فتجعله أكثر إدراكا واقتناعا بحال المتكلّم.

والمعلوم عن اللّغة العربيّة وجود أكثر من لفظ لمعنى واحد وهذا وهو ما يسمّى بالمترادفات. لكنّ الإستعارة كما رأينا سابقا في التّعريفات هي لفظ واحد إستعمل لمعان مختلفة بعيدة، ولكن من منظور منطقي ما علاقة الإشتعال بالشّيب أو الأسد بالإنسان ؟ هذه معان مختلفة الفضاءات، إلّا أنّ الإستعارة قد جمعت بينها فصارت تركيبات أو معان عاديّة ويمكن القول بأنّها بديهيّة، ولعلّ هذا ما جعل الإستعارة تتميّز بلاغيّا كونها تمدّ الخطاب بقوّة المعنى وقدرة التّأثير على السّامع.

2-الإستعارة من منظور اللّسانيّات المعرفيّة:

2-1-اللّسانيّات المعرفيّة:conqnitives linquistics

تعرّف اللّسانيّات المعرفيّة بأنّها (الدّراسة العلميّة المنتظمة للألسن البشريّة من خلال الوحدات والتّبويبات المسؤولة عن تنظيم العمليّات الإدراكيّة: التّبويب، التّشكيل، التّمثيل، المنطق[17]. فهي تبحث في الآليّات الّتي يعمل بها الذّهن البشري لتوليد المعرفة واللّغة، وذلك في سياق تكاملي مستفيدة في ذلك من كلّ العلوم وثيقة الصّلة بهذه الغاية كعلم الأعصاب والتّشريح والرّياضيّات والحاسوب واللّسانيّات...إلخ[18].

يتّضح من هذين التّعريفين أنّ اللّسانيّات المعرفيّة هي لسانيّات تجاوزت الحدّ اللّغوي الّذي توقّفت عنده البحوث اللّسانيّة السّابقة لها إلى حدّ أشمل وأعمق هو الحد

المنارة للاستشارات

المعرفي الإدراكي المتعلّق أساسًا بالذّهن البشري وكيفيّة عمله وإشتغاله من خلال إستعانتها بمعارف أخرى أبرزها علم النّفس المعرفي الّذي يقوم بدراسة العمليّات المعرفيّة الّتي تتضمّن إستقبال المعلومات وتحليلها وتنظيمها وتخزينها لوقت الحاجة[19]. فهي علم لساني نفسي لغوي ذهني.

وقد تُرجم مصطلح (congnitives linguistics) إلى ثلاثة مصطلحات عربيّة وهي (المعرفيّة) (congnitive) والإدراك (knowledge) وأحيانا (perception) ومصطلح العرفنة الّذي وضعه " الأزهر الزّناد". وحُدِّد مصطلح المعرفة **(congnitives) في (المعجم الفلسفي مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة)** بأنّها ثمرة التّقابل والإتّصال بين ذات مدرِكة وموضوع مدرَك، وتتميّز عن باقي معطيات الشّعور من حيث إنّها تقوم في آن واحد على التّقابل والاتّحاد الوثيق بين الطّرفين[20]. فالمعرفة إذن هي نتيجة إطلاع الإنسان على موضوع أو علم معيّن والإحاطة به فيصير كأنّه جزء من ذات الإنسان وهذا لتمركزه في ذهنه كون المعلومات تتمركز في الذّاكرة طويلة المدى. أمّا مصطلح الإدراك (knowledge) فهو المعرفة في أوسع معانيها، ويشمل الإدراك الحسي وإدراك المجردات والكليات[21]. فالإدراك يفسّر ما تلتقطه الحواس من الخارج فتصبح المعلومات الملتقطة على مستوى الذّهن.

وأمّا مصطلح (العرفنة) فهو راجع إلى إعتقاد "الأزهر الزّناد" بأنّه الأقرب لذهن المتلقّي العربي لإشتراكه مع الإستعمال القديم لهذا المصطلح وهو جامع لمصطلحي (المعرفة والإدراك). هذا ما أشار إليه في مدونته الموجودة على الإنترنت (العرفنة ومشتقاتها).

2-2-الإستعارة المفهوميّة:conceptual metaphors

لم يكن الاهتمام بدراسة الإستعارة مقتصرًا على البلاغة العربيّة وإنّما كان للبلاغة الغربيّة باع في هذا الموضوع، بداية من "أرسطو" Aristoteالّذي حدّد الإستعارة بمفاهيم تدلّ على الحركة في المكان؛ أي أنّ الإستعارة تقوم على نقل كلمة من مكانها الأصلي إلى مكان آخر غريب عنها[22]. إلى أن جاء "جورج لايكوف" George

Lakoffو"مارك جونسون"Mark Johnson وأقاما ثورة ضدّ هذا الفكر، فنقدا النّزعة الموضوعيّة والنّزعة الذّاتيّة. أمّا الموضوعيّة فتنادي بتجريد معرفة الأشياء من كلّ ما يحيط بها من أفكار وتجارب إنسانيّة وإجتماعيّة وغيرها؛ بمعنى ضرورة التّخلّي عن الأفكار القبليّة والخضوع لإقرار الظّواهر مهما كان[23]. كما أنّ الموضوعيين قد نفوا وجود التّصورات الاستعاريّة؛ فيرونها لغوية فقط، ولا يوجد ما يسمّى بالإستعارات التصوريّة[24] أو المفهوميّة، أمّا النّزعة الذّاتيّة فهي تربط إكتساب المعرفة بما تدركه الحواس؛ بمعنى التّجربة الذّاتيّة للمرء بعيدا عن العقل والإدراك. ورفضا التّعريف أو المفهوم القديم للإستعارة. وأقرّا بأنّ الإستعارة هي جزء من النّظام العقلي أو الذّهني. فالإستعارة بالنّسبة لهما توجد في التّفكير اليومي والحياة العاديّة للإنسان. « ... فقد إنتهينا إلى أنّ الإستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة، إنّها ليست مقتصرة على اللّغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال الّتي نقوم بها أيضا. إنّ النّسق التّصوي العادي الّذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة إستعاريّة بالأساس.»[25] وقد عرّفاها بأنّها (وسيلة لتصوّر شيء من خلال شيء آخر، ووظيفتها الأولى الفهم)[26] . ومعنى هذا أنّ الإستعارة تقوم على فهم تصورات مجرّدة بإعتماد تصورات حسيّة ملموسة؛ فالبنية التّصوريّة تنتظم من خلال ترابطات مجاليّة. (مجال المصدر) source domain و(مجال الهدف)[27] target domain؛ فالمجال المصدر يكون عتبة الوصول إلى المجال الهدف. فمثلا نقول (الوقت ضيق) في هذا المثال نجد مجالين المجال المصدر وهو (الضّيق) والمجال الهدف (الوقت) إستعارة تستعمل في كلامنا اليومي، عندما لا يمتلك أحدنا الوقت فنعبّر بالضّيق عنه فيصبح وكأنّه مكان أو مساحة.

وقد قسّم "لايكوف" و "جونسون" الإستعارة إلى ثلاثة أقسام:

*الإستعارة البنويّة: مفادها أن تُبَنين تصور ما بواسطة تصور آخر[28]. ومثال ذلك (الجدال حرب)، فالدّخول في جدال مع طرف آخر يحتاج إلى قوّة وقدرة لغويّة حجاجيّة دفاعيّة. وذاك ما يحتاجه المحارب في الحرب فلا يمكنه الدّخول في معركة دون أسلحة. فيكون التّماثل بين الموقفين. ومنه تكون الإستعارة البنويّة وسيلة للفهم والإستدلال.

المنارة للاستشارات

*الإستعارة الإتّجاهيّة orientational métaphor: هذا المفهوم ينظّم نسقا كاملا من التّصورات المتعالقة، وأغلبها يرتبط بالإتّجاه الفضائي من وضعية الجسد البشري: فوق، تحت، عميق، سطحي، أمام، وراء...إلخ[29]. وتتحدّد هذه الإتّجاهات وفقا لتواجد أجسادنا وكيفيّة اشتغاله في المحيط الفيزيائي. مثال قولنا: كرامتي فوق كلّ شيء، فالكرامة أمر كبير وعظيم، وعادة من يدافع عن كرامته يكون واقفا شامخا. والأمر العظيم دائما ما يكون في القمّة في المرتكزات الإجتماعية والمرتكزات الفيزيائيّة (الأعلى).

ملاحظة:مصطلح المرتكزات يعود لـ"لايكوف" و "جونسون".

*الإستعارة الوجوديّة أو الأنطولوجيّة : Ontological Métaphor

تقوم على بنينة ما هو مجرّد اِنطلاقا مما هو محسوس، وتمنحنا طرقا للنّظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار بإعتبارها كيانات ومواد؛ أي تجسيد المعنوي بما هو محسوس. ويتّخذ هذا النّمط الإستعاري سبلا متعدّدة حسب تنوّع حاجاتنا[30].. فإحتكاك الإنسان بمحيطه الفيزيائي يعطيه قدرة على توسيع أفقه وتقوية قدرته على التّمعن والتّحليل حسب الحاجة الإنسانيّة. ما يجعل الأفكار كيانا كما عبّر عنها "لايكوف" و"جونسون" في كتابهما. وقد أوردا مثالا عن التّضخم في ص46. جاء في المثال: التّضخم كيان (كأنّه ذات موجودة):

-إنّ التضخم يخفض مستوى عيشنا.

-إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش.

-يجب محاربة التضخم.

فالإستعارة الوجودية أو الأنطولوجيّة حسب "لايكوف" و"جونسون" تساعد على تحليل عقلاني لتجاربنا، فمثلا محاولتنا التّفكير في طرق سليمة تساعدنا على مواجهة التّضخم والتغلب عليه.

الإستعارة البنوية

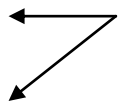

وبهذه الإستعارات الثّلاث تتشكّل الأنساق التصوريّة لدى الإنسان ما يمكّنه من التّفكير والوصول إلى التّحليلات الصّحيحة نسبيّا. وبالتّطبيق على المثالين المذكورين سابقا، قوله تعالى﴿**والصّبح إذا تنفّس**﴾ سورة التّكوير الآية18 و قوله في سورة آل عمران ﴿ **هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات**﴾ الآية 07 نجد في الآية الأولى إستعارة بنويّة؛ إذ المعلوم لدينا أنّ الإنسان هو الّذي يتنفس في الأصل، ولكنّ هذا اللّفظ إستُعمل للتّعبير عن بزوغ الشّمس صباحا. وهذا ما كان في تعريف الاستعارة البنوية الّتي تبنين تصوّر ما بواسطة تصوّر آخر. فالإنسان عندما يكون في كرب وكأنّه في ظلام دامس، ولكن عندما يزاح عنه يتنفّس وكأنّه يخرج إلى الصّباح والنّور، وفي الدّعاء نقول (نفس كروبنا)، ويقول فيها "الشّريف الرّضي" بأنّها من أكثر الإستعارات غرابة، وكذا نجد إستعارة أنطولوجيّة فقد صار الصّبح كيانا أو إنسانا يتنفس، أمّا الإستعارة التّوجيهية تكون في خروج النّور صباحا كخروج الهواء من الجسم من الدّاخل إلى الخارج. وهي من المرتكزات الفيزيائيّة(الشّهيق والزّفير).

وأمّا الآية الثّانيّة فالإستعارة البنويّة تكمن في إظهار مكانة الآيات المحكمات في القرآن الكريم من خلال إستعمال لفظة (الأمّ) لما لها من مكانة عالية وخاصّة في أسرتها وعند أبنائها بالإضافة إلى دورها الّذي لا يمكن لأحد أن يقوم به سواها. أمّا الإستعارة الانطولوجيّة فهي واضحة بجعل الآيات المحكمات كيانا (الأمّ) ممّا أحال على عظمتها وتقديسها، وبالنّسبة للإستعارة الإتّجاهية تظهر بإعتماد المرتكزات الإجتماعيّة (مكانة الأم في المجتمع) وهي المكانة المرموقة والمحترمة، ومنها تحيلنا إلى المرتكز الفيزيائي الأعلى، فالإنسان المحترم دائما ما يكون في المرتبة العليا، وعادة نقول (أمّي تاج فوق رأسي) والتّاج على الرّأس أي في أعلى مكان في جسم الإنسان وكلمة فوق كفيلة بالتّبيان والتّوضيح.

المنارة للاستشارات

2-3 الإستعارة بعد لايكوف وجونسون:

إتّبع " تورنر" Turner-و هو من مؤسّسي البلاغة المعرفيّة- نهج "لايكوف" و "جونسون". حيث أكّد على رؤيتهما الجديدة للإستعارة. وقد خصّص كتابا لدراسة النّماذج المعرفيّة لمفهوم القرابة الأسريّة من إستعارات وكنايات. يقول "تورنر" أنّ بحثه هذا يؤكّد على أنّ الإستعارة ليست مجرّد كلمات أو ألفاظ لغويّة وإنّما هي أداة أساسيّة للمعرفة البشريّة، فلها تأثير قوي على الفعل والتّفكير البشري[31]. فهو يُخرج الإستعارة من الحيّز اللّغوي والجمالي الّذي وُضعت فيه سابقا إلى نسق جديد ذهني فكري وتصوري، فيتمكّن الإنسان من فهم محيطه وإكتساب معارفه من خلال هذه الإستعارة. وقد وجّه "تورنر" بحثه هذا نحو الدّراسة النّقديّة الأدبيّة، فهو يرى أنها أحد الموارد الأساسيّة الّتي ندرس بها الأدب هي فهم العمل الذّهن البشري، وعلى النّاقد الأدبي أن يهتمّ بهذه بهذا الفهم.

إنّ الإستعارة بوصفها آليّة ذهنيّة... وهي نمط فكري يشكّل معارفنا عامّة، بما في ذلك معرفتنا حول عوالمنا اليوميّة، كالحب، العائلة، الأسلحة الذّريّة، الرّياضيات...عندما يتحدّث النّاقد عن الإستعارة فإنّه يتحدّث عن مبادئ فكريّة تتحقّق في نوع معيّن من اللّغة[32].

يعطي "تورنر" في بحثه الجديد منهجا جديدا لتحليل الإستعارة، فيختار نموذج إستعارة القرابة. وهذا المنهج يحتاج إلى مخبر يقوم على (نوع أساسي من الفكر (الإستعاري مثلا)، وآخر المعارف (نماذج العائلة) ، ونوعا هامّا من (الإستخدام اللّغوي (استعارات القرابة: الحاجة أمّ الإختراع) والأدبي). بالنّظر إلى هذا المثال فإنّنا نرى حسب "تورنر" أنّ (الإستعارة) و المعارف (العائلة) يوجد إبتعاد كبير بين النّوعين، إلّا أنّ المعرفة أو الأفكار المكتسبة حول القرابة تجعل القارئ أو المستمع يفهم هذه العلاقة الإستعاريّة. فإستمرار المجتمع تطلّب وجود أمّ. والحاجة تطلّبت إختراعًا،- وهذا ما نعيشه في واقعنا- ، فكثير من الإختراعات كانت وليدة حاجات إنسانيّة.

كما يدعو "تورنر" إلى ضرورة عدم الفصل بين اللّغة اليوميّة واللّغة الأدبيّة، بإعتبار أنّ اللّسانيين والنّقاد يرونهما منفصلين تماما[33]، لأنّ الإستعارة تكون مضمّنة في

اللّغة العاديّة بإعتبارها أداة تفكير يومي، واللّغة الأدبيّة للأدبي تحتاج لغة يوميّة حتّى يتمّ فهم الأدوات المعرفيّة الموظّفة من قبل الكاتب ومن بينها الإستعارة.

خاتمة:

1-حُصرت الإستعارة من المنظور البلاغي في الإنجاز اللّغوي والوظيفة الجماليّة.

2-الإستعارة عند البلاغيين العرب تقتصر على الشّعر العربي.

3- الإستعارة في النظريّة المعرفيّة هي وسيلة تفكير مرتبطة بطريقة اشتغال الذّهن.

4-أصبحت الإستعارة تطبّق في الخطابات اليوميّة في مختلف مجالات الحياة.

5-إنّ التّلميح المعرفي للإستعارة الموجود في تعريف "الجرجاني" لها يشير إلى وجود الفكر المعرفي عند العلماء العرب القدامى وإن كان ضمنيّا.

لقد وسّع المنظور المعرفي للإستعارة مجال دراستها وتطبيقها ما جعل هذا التّوجّه الجديد يستحق الدّراسة والتّمعن والعمل عليه للإسهام في نشره وتوسيعه.

الهوامش:[1]

1-أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم إبن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر بيروت، د.ط، د.ت. الملجد4، باب الراء، ص220/219 .

2-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللّغة، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د،ط، د.ت الجزء الرابع،ص184.

3-أبو يعقوب يوسف بن محمّد بن علي السّكاكي: مفتاح العلوم، منشورات محمّد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط01، 1460هـ-2000م، ص*438*.

4 -عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، د.ط، د.ت، الجزء الأوّل، ص153.

5-نفسه:ص152.

6-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، دار التّراث القاهرة، ط02، 1393هـ-1973م، ص135.

7-نفسه: ص137.

8-الشّريف الرّضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ص236.

9-عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن محمّد الجرجاني النّحوي: أسرار البلاغة، النّاشر دار المدني بجدّة، د.ط،د.ت،ص20.

10-الشّريف الرّضي: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص171.

المنارة للاستشارات

11-محمّد السّيّد الشّيخوني: الإستعارة: نشأتها-تطوّرها-أثرها في الأساليب العربيّة، دار الطّباعة المحمديّة بالأزهر بالقاهرة، ط1397،01هـ-1977م،ص43.

12- المرجع نفسه: ص نفسها.

13-المرجع نفسه: ص نفسها.

14- السّكاكي: مفتاح العلوم،ص 198.

15- عبد الرّحمن حسن حبنّك الميداني: البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم دمشق، دار الشّامية بيروت، ط01، 1416هـ-1996م، الجزء الثّاني، ص242.

16-المرجع نفسه:ص243.

17 -عبد الكريم جيدور: اللّسانيّات العرفانيّة ومشكلة تعلّم اللّغات وإكتسابها، مجلّة العلامة، العدد الخامس، ديسمبر2017، ص07.

18-عبد السّلام عابي: من اللّسانيّات التّوليديّة إلى اللّسانيّات العرفانيّة، تحوّلات المباحث والمفاهيم، جامعة محمّد بوضياف، مسيلة، 2009، ص09.

19-عدنان يوسف العتوم: علم النّفس المعرفي، النّظريّة والتّطبيق، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط03، 1433هـ-2012م، ص24.

20-مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الفلسفي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة مصر، د.ط، 1403هـ-1983م،ص186، ص187.

21-المصدر نفسه، ص6

22-عبد العزيز الحويدق: نظريات الإستعارة في البلاغة الغربيّة من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون: دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط01، 1436هـ-2015م، ص13.

23-علي عليوة: مقال في المنهج، لا توجد معلومات، ص10.

24-جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات الّتي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنّشر، ط02، 2009م، ص188.

25-المصدر نفسه: ص21.

26-نفسه: ص56.

27-إيزابيل أوليفيرا: الإستعارة الإصطلاحيّة من وجهة نظر عرفانيّة، تر: حسن دواس، مجلة إداراكيّات، مصر، العدد100، صيف2017، ص127.

28-29جورج لايكوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص33.

30-عبد العزيز لحويدق: نظريات الاستعارة، ص269.

31- عمر بن دحمان: بعض من مشاريع البلاغة المعرفيّة، مجلة الخطاب، الجزائر العدد: 21، د.ت، ص121.

32-المرجع نفسه، ص121.

33-أُنظر المرجع نفسه: ص 121.